رسالة في
إثبات الاستواء والفوقية

للإمام

أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني

والد إمام الحرمين المتوفى عام ٤٣٨ هـ

قام بصف هذا الكتاب ونشره إخوانكم في
[شبكة الدفاع عن السنة]

www.d-sunnah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الحبيب وعلى آله وسلم

الحمد الله الذي كان، ولا مكان، ولا إنس، ولا جان، ولا طائر، ولا حيوان، المنفرد بوحدانيته في قدم أزليته، والدائم في فردانيته في قدس صمدانيته، ليس له سَمِي ولا وزير، ولا شبيه ولا نظير، المتفرد بالخلق والتصوير، المتصرف بالمشيئة والتقدير {ليس كمثله شيءٌ وهو السميع العليم}. له الرفعة والعلاء، والحمد والثناء، والعلو والاستواء، لا تحصره الأجسام، ولا تصوره الأوهام، ولا تقله الحوادث ولا الأجرام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، له الأسماء الحسنى والشرف الأتم الأسنى، والدوام الذي لا يبيد ولا يفنى، نَصِفهُ بما وصف به نفسه من الصفات التي تُوجِب عظمته وقُدْسه، مما أنزله في كتابه، وبيَّنه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه، ونؤمن بأنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير، العليم القدير، الرحمن الرحيم، الملك القدوس العظيم، لطيف خبير، قريب مجيب، متكلم مريد، فعال لما يريد، يقبض ويبسط، ويرضى ويغضب، ويحب ويبغض، ويكره ويضحك، ويأمر وينهى، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير، والكلام المبين، واليدين والقبضتين، والقدرة والسلطان، والعظمة والامتنان، لم يزل كذلك، ولا يزال، استوى على عرشه فبان من خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط، وبصره بهم نافذ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يمثل بشيء من جوارح مبتدعاته، وهي صفات لائقة بجلاله وعظمته، لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العيون، بل نؤمن بحقائقها، وثبوتها، واتصاف الرب تعالى بها، وننفي عنها تأويل المتأولين[١]، وتعطيل الجاحدين[٢]، وتمثيل المشبهين[٣]، تبارك الله أحسن الخالقين، فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد، وله نصلي

---

[١] المتأولين: هم الذين أولوا نصوص الصفات وصرفوها عن معناها.

[٢] الجاحدون: هم الذين أنكروا نصوص الصفات وجحودها.

[٣] المشبهة: وهم الذين يغلون في إثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة وهم شيع وفرق، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة فمنهم السبئية الذين سمو عليّاً إلهاً، وشبهوه بذات الإله، ومنهم المشبهة المنسوبة إلى داود الجواريبي، وصف معبوده بقوله: أعفوني عن الفرج واللحية وسلوني عما وراء ذلك. راجع "الفرق بين الفرق": ص/٢٢٥-٢٣٠.

ونسجد، فمن قصد بعبادته إلى إله ليست له هذه الصفات فإنما يعبد غير الله، وليس معبوده ذلك بإله فكفرانه لا غفرانه[٤].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته، واختاره لبريته، وأنزل عليه كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد.

وبعد: فهذه نصيحة كتبتها إلى إخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء، لما تعين عليَّ من محبتهم في الله، ونصيحتهم في صفات الله –عز وجل-، فإن المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وفي الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي. قال: ((با يعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والنُّصْح لكلِّ مُسلمٍ))[١].

وعن تميم الدَّاريِّ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدِّينُ النَّصيحةُ ثلاثاً)). قلنا: لمَنْ؟ قال: ((لله ولكتابهِ ولرسُولهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتهم))[٢].

أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده، ووفقهم لطاعته ومزيده، **أنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل:** مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، **وكنت متحيراً** في الأقوال المختلفة الموجدة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل **فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة**

---

[٤] قال البخاري في (خلق أفعال العباد): ص٤٣: وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشبهة؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم، والأصم، والأبكم الذي لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق.

[١] رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٤٢، ٢٠/١. ومسلم في صحيحه: الإيمان/٢٣، ح٥٦، ٧٥/١.

[٢] رواه البخاري في صحيحه: الإيمان/٤٢، ٢٠/١، ومسلم في صحيحه: الإيمان/٢٣، ح٥٥، ٧٤/١، واللفظ لمسلم دون لفظ ثلاثاً. والنسائي في سننه: النصيحة/٣١، ح٤٢٠٠، ١٥٧/٧. بتكرار لفظ الدين النصيحة ثلاثاً وبنحو لفظ النسائي البغوي في شرح السنة:، ح٣٥١٤، ٩٣/١٣.

بحقائق هذه الصفـات، وكذلك في إثبـات العلـو والفوقيـة، وكـذلك الحـرف والصوت، ثم أجـد المتأخرين من المتكلمين فـي كتـبهم مـنهم مـن يـؤول الاسـتواء بـالقهر والاسـتيلاء، ويـؤول النـزول بنـزول الأمـر، ويـؤول اليـدين بالقـدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم الصدق عنـد ربهـم، وأمثـال ذلـك، ثـم أجـــدهم مـع ذلـك يجعلون كـلام الله تعـالى معنـى قـائم بالـذات بـلا حـرف ولا صـوت، ويجعلـون هـذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

وممن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدري منزلـة، مثـل طائفـة مـن فقهـاء الأشـعرية الشـافعيين لأنـي علـى مـذهب الشـافعي– رضـي الله عنـه- عرفـت فـرائض دينـي وأحكامـه، فأجـد مثـل هـؤلاء الشـيوخ الأجلـة يـذهبون إلـى مثـل هـذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجـد في قلبي من هذه التـأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكــدر والظلمـــة منها، وأجــد ضيـــق الصــــدر، وعـــدم انشراحـــه مقرونـاً بهـا، فكنـت كـالمتحير المضطـرب في تحيره، المتململ من قلبه وتغيره.

وكنـت أخــــاف مـن إطــــلاق القـول بإثبـات العلـو والاسـتواء، والنـزول مخــافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طـــالعت النصــــوص الـواردة فـي كتـاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجـــدها نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعـاني، وأجـد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه، واصـفاً لهـا بهـا، وأعلـم بالاضطــــرار أنـــه صلى الله عليه وسلم كان يحضر فـي مجلسـه الشـريف، العـالم، والجاهل، والذكي والبليد، والأعرابي، والجافي، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصـوص التي كان يصف ربه بها، لا نصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كمـا تأولها مشايخي الفقهاء المتكلمـين مثـل تـأويلهم الاسـتيلاء بالاسـتواء، ونـزول الأمـر للنزول، وغير ذلك، ولم أجد عنه صـلى الله عليـه وسـلم أنـه كـان يحـذر النـاس مـن الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية، واليدين، وغيرهما، ولم ينقـل

عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أُخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتبة[1]، ويد النعمة، والقدرة وغير ذلك، وأجد الله- عز وجل- يقول: {الرحمن على العرش استوى}. {خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم}. {ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء يرسل عليكم حاصباً}. {قل نزله روح القدس من ربك}. {وقال فرعون يا هامان ابن لي صريحاً لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كذباً}. وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء. ولهذا قال: وإني لأظنه كاذباً، وقوله تعالى: {ذي المعارج، تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} الآية. ثم أجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخصه بقربه عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية: ((أين الله؟)) فقالت: في السمـــــاء[2] .. فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلا يتوهموا أن الأمر على خلاف ما هو عليه؛ بل أقرَّها وقال: ((اعتقها فإنها مؤمنة)). وفي حديث جبير بن مطعم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله فوق عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه مثل القبة، وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة))[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((الرَّاحمون يرْحَمُهم

---

(1) تأول المعتزلة الآيات الدالة على فوقية الله كما في قوله تعالى: {يخافون ربهم من فوقهم}. {وهو القاهر فوق عباده}. على أن معناها خير من عباده، وأفضل منهم، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم، وهذا مما تنفر منه الفطر السليمة، لأن القائل ابتداءً الله خير من عباده من جنس قول القائل: الشمس أضوأ من السراج، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، وليس في ذلك مدح، كما قال الشاعر: ألم تر أن السيف ينقصُ قدرهُ ** إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

ومن جهة أخرى لابد أن يثبت هذه الفوقية ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فلله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض، ونفى البعض فقد تنقص. راجع شرح العقيدة الطحاوية: ٢/٣٨٧-٣٨٨.

(2) سيأتي تخريج الحديث.

(3) الحديث رواه الدارمي في (رد الدارمي على المريسي): ص٨٩. بلفظ: ((إن الله فوق عرشه فوق سماواته فوق أرضه مثل القبة – وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده مثل القبة- وأنه ليئطُّ به أطيط الرَّحل بالراكب)) والرد على الجهمية: ح٢٧١ ص٤١. ورواه بنحوه أبو داود ف سننه: السنة ١٩، ح(٤٧٢٦)، ٢/٦٤٤-٦٤٥، وابن أبي عاصم في (السنة) ح(٥٧٥)، (٥٧٦)، ١/٢٥٢-٢٥٣. وابن خزيمة في التوحيد ح(١٤٧)، ١/٢٣٩-٢٤١. واللالكائي (شرح اعتقاد أهل السنة): ح٦٥٦، ٣/٣٩٤-٣٩٥. والبيهقي في (الأسماء والصفات): ح (٨٨٣)، (٨٨٤) ٢/٣١٧-٣١٩. وابن منده في (التوحيد): ح(٦٤٣) ٣٠/١٨٨. والبغوي في (شرح السنة) باب الرد على الجهمية: ح(٩٢)، ١/١٧٥-١٧٦. وابن قدامة في (إثبات صفة العلو): ح(١٦) ص٩٦. والذهبي في (إثبات صفة العلو): ح(٧١) (٧٢) (٧٣) ص٤٣-٤٤.

الرَّحمنُ ارحموا أهل الأرض يرحمكم منْ في السماء)). أخرجه الترمذي وقال:حسن صحيح، وعن معاوية بن الحكم السُّلمي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ((ادعها))، فدعوتها، قال فقال لها: ((أين الله؟)) قالت: في السماء. قال: ((اعتقها فإنها مؤمنة)) رواه مسلم ومالك في موطئه. وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من اشتكى منكم شيئاً، أو اشتكى أخٌ له فليقل: ربنا الذي في السماء تقدَّسَ أسمك، أمْرُك في السماء والأرض كما رَحْمَتك في السماء، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت ربُّ الطيبين أنْزِل رحْمَةً من رحمتك وشفاءً من شِفائك على الوجع فيبرأ)) أخرجه أبو داود.

وعن أبي سعيد الخدري قال: بعث عليٌّ من اليمن بذُهيبةٍ في أديمٍ مَقْروظٍ لم تُحصَّل مِنْ ترابِها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة: زيد الخير، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن عُلاثة، أو عامر بن الطفيل (شك عُمارة) فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا تأمنوني؟ وأنا أمينُ منْ في السماء، يأتيني خَبَرُ مَنْ في السماء صباحاً ومساءً)) أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الميت تَحضُرُهُ الملائكةُ فإذا كان الرجلُ الصالح، قالوا: اخْرُجي أيتها النفس الطيِّبةُ! كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقول: فلان. فيقولون: مَرْحباً بالنفسِ الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يُقالُ لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله- عز وجل-))[1].الحديث.

---

[1] رواه ابن ماجه (٤٢٦٢) باختلاف في بعض الألفاظ، وأحمد ٢/٣٦٤-٣٦٥، ٦/١٤٠، والدارمي في الرد على الجهمية (١١٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١٧٦) والحاكم (١٣٠٢) وقال: هو على شرط البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو على امرأتهُ إلى فِرَاشِها فتأبى إلا كان الذي في السمـــاء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها)) أخرجه البخاري ومسلم.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن الصبَّاح، حدثنا الوليد بن أبي ثور، عن سِمَاك، عن عبدالله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابةٌ فنظر إليها فقال: ((ما تُسَمون هذه؟)) قالوا: السَّحابُ، قال ((والمُزْنُ؟)) قالوا: والمزن، قال: ((والعَنَان؟)) قالوا: والعنان، قال: ((هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟)) قالوا: لا ندري. قال: ((إن بُعْدَ ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماءُ فوق ذلك)) حتى عدَّ سبع سماوات ((ثم فوق السماء السابعة بحْر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوْقَ ذلك ثمانية أوعال، بين أظْلافِهم ورُكَبِهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله- عز وجل- فوق ذلك))[٢].
قال الإمام الحافظ عبدالغني في عقيدته لما ذكر حديث الأوعال قال: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال: حديث الروح رواه أحمد والدارقطني.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله كَتَبَ كِتاباً قَبْلَ أن يخلُقَ الخَلْقَ، أن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأخرج محمد بن إسحاق، عن معبد بن كعب بن مالك، أن سعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد حكمت حكماً حكم الله

---

[٢] رواه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي (٤٧٢٤) وابن ماجه(١٩٣) وأحمد ٢٠٦/١، ٢٠٧/١ والحاكم ٥٠٠/٢-٥٠١.

به من فــوق سبــع أرقعة))[١]. وحديث المعراج عن أنـس بـن مالـك، أن مالـك بـن صَعْصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليـه وسـلم حـدثهم عـن ليلـة أسـري بـه وسـاق الحديث إلى أن قـال: ((ثـم فرضـت علـيَّ الصـلاة خمسـين صـلاة كـلُّ يـوم فرجعـتُ فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صـلاة كـل يـوم. قـال: إن أمتك لا تسـتطيع خمسـين صـلاة وإنـي قـد خبـرت النـاس مـن قبلـك، وعالجـت بنـي إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مِثـلَ ذلـك فرجعـت إلـى ربـي فوَضَـعَ عنـي عشـراً خمس مرات، في كلهـا يقـولُ فرجعـت إلـى موسـى ثـم رجعـتُ إلـى ربـي)) أخرجـه البخاري ومسلم.

وحـديث أبـي هريـرة أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: ((يتعـاقبون فـيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصـر ثـم يعـرجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم –وهو أعلمُ بهم- كيف تركتم عبادي)) متفق عليه.

وعن ابن عمر قال: ((لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه أبو بكر- رضي الله عنه- فأكب عليه وقبل جبهته. وقال: بأبي أنت وأمي طبي حياً وميتاً. وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي في السمـــاء لا يمـوت)) رواه البخاري، عن محمد بن فضيل، عن فضيل بن غَزْوان، عن نافع، عن ابن عمر.

وعن أنس بن مالك كانت زينب تفخرُ على أزواج رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وتقول: ((إن الله زوجني من السمـــاء))[٢]. وفي لفظ: ((زوَّجكُنَّ أهلُـوكنَّ وزوجنـي الله مِنْ فـــوق سبــع سمـــاوات)) أخرجه البخاري.

وحديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لم يَرْحَم مَنْ في الأرض لم يَرْحمْه مَنْ في السَّمـــاء))[٣].

---

[١] رواه ابن إسحاق في سيرته ٢٤٠/٢، وابن قدامة في (إثبات صفة العلو) (٢٥) ، والذهبي في (العلو) (٦١) وابن منده في التوحيد (٨٤١) بلفظ (سبع سماوات) بدل (سبع أرقعة) وكذا رواه البيهقي في (الأسماء والصفات)

[٢] رواه البخاري ١٧٦/٨.

[٣] رواه الدارمي في رده على الجهمية ح(٧٤)، والطبراني بنحوه في (المعجم الصغير) ١٠١/١، و(المعجم الكبير) ح(١٠٢٧٧)، وأبو يعلى ح(٥٠٦٣) .

وحديث ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به مرت رائحة طيبة فقلت: ((يا جبريل ما هذه الرائحة؟)) فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت: بسم الله. فقالت ابنته إلى أبيها. فدعا بها فقال: هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي في السمـــاء. فأمر ببقرة نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها. فألقاهم فيها))[1] الحديث رواه الدارمي وغيره.

وروى الدارمي أيضاً بإسناده إلى أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما أُلقي إبراهيمُ في النار قال: اللهمَّ إنَّكَ في السَّمــاء واحد، وأنا في الأرض واحدٌ أعبدك)).

وأما الآثـــار عن الصحابة في ذلك فكثير، منها قول عمر- رضي الله عنه- عن خولة لما استوقفته فوقف لها فسئل عنها فقال: ((هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبــع سمــاوات))[2].

وعبدالله بن رواحة لما وقع بجارية له. فقالت له امرأته: فعلتها. قال: أما أنا فأقرأ القرآن، فقالت: أما أنت فلا تقرأ القرآن، وأنت جنب. فقال:

شهِدْتُ بأنَّ وعـــــدَ الله حقٌ   وأن النارَ مثوى الكافرينـــا
وأنَّ العرشَ فَوقَ الماء طافٍ   وفوق العرشِ ربُّ العالمينا
وتـحْمِــلُهُ مـــلائِكةٌ كِـــرامٌ   مَلائِكةُ الإله مُســــــوَّمِينا[3]

وابن عباس لما دخل على عائشة وهي تموت. فقال لها: ((كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يحب إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فـــوق سبــع سمــاوات))[4].

---

[1] رواه الدارمي في رده على الجهمية ح(٧٣)، وأحمد ٣٠٩/١-٣١٠، والحاكم ٤٩٦/٢-٤٩٧، والطبراني في الكبير (١٢٢٧٩)، والبيهقي في الدلائل:٣٨٩/٢، والذهبي في العلو ح(٩٣) وقال: هذا حديث حسن الإسناد. وقال الحاكم معلقاً على الحديث ٤٩٧/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[2] رواه الدارمي في رده على الجهمية (٧٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح(٨٨٦)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (٥٧)، والذهبي في (العلو) ح(١٦٩).

[3] رواه الدارمي في رده على الجهمية (٨٢)، وابن قدامة في (إثبات صفة العلو) (٥٢)، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ١٥٨/١٢، وذكر القصة ابن عبدالبر في الاستيعاب وقال: وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح.. وذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١.

[4] رواه الدارمي في رده على الجهمية ح(٨٤). ورواه بنحوه البخاري ١٠/٦، وأحمد ٢٧٦/١-٣٤٩.

وكذلك نجد أكابر العلمــاء، كعبدالله بن المبارك- رضي الله عنه- صرح بمثل ذلك. روى عثمان بن سعيد الدارمي، قال: حدثنا الحسن بن الصباح، قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك قيل له: كيف تعرف ربنا، قال: بأنه فوق السماء السابعة على العــرش باين من خلقه(٥).

(٥) رواه الدارمي في رده على المريسي ص٢٤، ورده على الجهمية (٦٧)، وعبدالله بن أحمد في (السنة) (٢١٦)، والبخاري في (خلق أفعال العباد ص٣١، والبيهقي في (الأسماء والصفات) (٩٠٢)، والصابوني في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص٢٠، وقال شيخ الإسلام في (الحموية): "وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه مروي من غير وجه، وهو أيضاً ثابت عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغير واحد من الأئمة" وابن قدامة في (إثبات صفة العلو) (٨٣)، والذهبي في (العلو) (٣٩٨) و(٣٩٩).

فصــل

فلم أزل في الحيرة والاضطـراب من اختـلاف المذاهب والأقوال، حتى لطف الله تعالى وكشـف لهذا الضعيف من وجه الحق كشفاً اطمئن إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره، وها أنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى:

والذي شرح صدري له في حكم هذه الثلاث مسـائل:

الأولى: **مسـألة العلو والفوقية والاستواء** هو: أن الله- عز وجل- كان ولا مكان، ولا عرش ولا ماء، ولا فضاء، ولا هواء، ولا خلاء، ولا ملأ، وأنه كان منفرداً في قدميته وأزليته، هو متوحد في فردانيته، وهو سبحانه وتعالى في تلك الفردانية لا يوصف بأنه فوق كذا إذ لا شيء غيره، هو سابق للتحت والفوق اللذين هما جهتا العالم، وهما لازمتان لها، والرب تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته، فلما اقتضت الإرادة المقدسة بخلق الأكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت الإرادة المقدسة على أن يكون الكون له جهات من العلو، والسفل، وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث، فكوَّن الأكوان، وجعل لها جهتا العلو والسفل، واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الكون في جملة التحت؛ لكونه مربوباً مخلوقاً، واقتضت العظمة الربانية أن يكون هو فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته إذ لا فوق فيها ولا تحت، ولكن الرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وأزليته، فهو الآن كما كان، لكن لما حدث المربوب المخلوق، والجهات، والحدود ذو الخلا، والملا، وذو الفوقية، والتحتية، كان مقتضى حكم عظمة الربوبية أن يكون فوق ملكه، وأن تكون المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون، فإذا أشير إليه يستحيل أن يشار إليه من جهة التحتية، أو من جهة اليمنى، أو من جهة اليسرى، بل لا يليق أن يشار إليه من جهة العلو والفوقية ثم الإشارة هي بحسب الكون وحدوثه، وتسفله، فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الإله تعالى كما يليق به لا كما تقع على الحقيقة المعقولة عندنا في أعلا

جزء من الكون، فإنها إشارة إلى جسم، وتلك إشارة إلى إثبات، إذا علم ذلك فالاستـــواء صفة كانت له سبحانه في قدمه لكن لم يظهر حكمه إلا في الآخرة، وكذلك التجلي في الآخرة لا يظهر حكمه إلا في محله.

تنبيه: إذا علم ذلك فالأمر الذي تهرب المتأولة منه حيث أوَّلوا الفوقية بفوقية المرتبة، والاستواء بالاستيلاء فنحن أشدُّ الناس هرباً من ذلك وتنزيهاً للباري تعالى عن الحدِّ الذي يحصره فلا يحد بحدٍّ يحصره، بل بحد تتميز به عظمته وذاته ليس مخلوقاته، والإشارة إلى الجهة[1] إنما هي بحسب الكون، وتسفله إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا، وهو فد قِدَمه سبحانه منزه عن صفات الحدوث، وليس في القِدم فوقية ولا تحتية، وإن من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه إلا من فوق فتقع الإشارة على العرش حقيقة إشارة معقولة، وتنتهي الجهات عند العرش، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل، ولا بكيفية الوهم فتقع الإشارة عليه كما يليق به مجملاً ثابتاً لا مكيفاً، ولا ممثلاً وجه من البيان، الرب ثابت الوجود ثابت الذات، له ذات مقدسة متميزة عن مخلوقاته تجلى للأبصار يوم القيامة، ويحاسب العالم فلا يجهل ثبوت ذاته، وتميزها عن مخلوقاته، فإذا ثبت ذلك فقد أوجد الأكوان في محل وحيِّز، وهو سبحانه في قِدَمه منزَّهٌ عن المحل والحيِّز فيستحيل شرعاً وعقْلاً عند حُدُوث العَالم أن يحمل فيه، أو يَخْتلِط به؛ لأن القديم لا يحلُّ في الحادِث، وليس هو محلاًّ للحوادث فلزم أن يكون بايناً عنه، وإذا كان بايناً عنه يستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق وأن يكون ربه في جهة التحت هذا مُحَال شرعاً وعقلاً فيلزم أن يكون العالم في جهة

---

(1) الواجب في هذا الباب – أعني باب الصفات- أن نثبت ما أثبته الله ورسوله، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما في الألفاظ والمعاني. =

= أما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة، ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، مثل لفظ المركب، والجسم، والمتحيز، والجوهر، والجهة، والعرض، والحيز، ونحو ذلك، فليس لأحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقرَّ به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره. وألفاظ سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم فيها أنه فوق العرش، وقد ثبت عن بعض أئمة السلف أنهم قالوا: لله حد، وأن ذلك لا يعلمه غيره. قاله عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه كما نقله الهروي في ذم الكلام ص٣٧٢-٣٧٣. والدارمي كما في رده على المريسي ص٢٣. ونقل قول ابن المبارك كذلك عبدالله بن أحمد في السنة ١٧٤/١-١٧٥. وأحمد بن حنبل كما في إبطال التأويلات ص٢٩٨. وقوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي كما في سير أعلام النبلاء ٨٥/٢٠-٨٦. والقاضي أبو يعلى كما في كتابه إبطال التأويلات ص٢٩٩.

الفوق، فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تُكيَّف ولا تمثّل بل تـعلم من حيث الجملة والثبوت لا من حيث التثميل[١] والتكييف[٢] وقد سبق الكلام في أن الإشـــارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا لأنَّا في محلٍ وحدٍ وحيزٍ، والقدم لا فوق فيه ولا تحته، ولابد من معرفة الموجِد وقد ثبت بينونته عن مخلوقاته، واستحال علوها عليه فلا يمكن معرفته والإشارة بالدعاء إليه إلا من جهة الفوق لأنها أنسب الجهات إليه،وهو غير محصور فيها، وهو كما كان في قدمه وأزليته، فإذا أراد المحدث أن يُشير إلى القدم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقية؛ لأن المشير في محل له فوق وتحت، والمشار إليه قديمٌ باعتبار قِدَمِهِ لا فوق هناك ولا تحت، وباعتبار[٣] حدوثنا وتسفُّلِنا هو فوقنا، فإذا أشرنا إليه تقع الإشارة عليه كما يليقُ به لا كما نتوهمه في الفـوقية المنسوبة إلى الأجسام لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثبوت لا من جـهة التمثيـل والتَّكييف والله الموفق للصواب.

ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له إلا جهتا العلو والسُّفل، ثم اعتقد بينونة خالقه عن العـالم، فمن لـوازم البينونة أن يكون فوقـه؛ لأن جميع جهات العالم فوق، وليس إلا المركز وهو الوسط.

---

(١) التمثيل: هو حجة فيه تشبيه جزئي لجزئي في معنى مشترك بينهما ليثبت الحكم في المشبه، والمراد به هنا هو الاعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. راجع (شرح العقيدة الواسطية) لهراس: ص٢٢.

(٢) التكييف: اعتقاد أن صفات الرب سبحانه وتعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف، فالمكيف هو الذي يطلب تعيين كنه صفات الباري، وهذا مما استأثر الله بعلمه، فلا سبيل إلى الوصول إليه. راجع (التحفة المهدية) ص٣١، ٢٥٩.

(٣) أي مباينة الله عز وجل لخلقه.

فصــل

إذا علمنــا ذلك تخلَّصنـــا من شُبه التــأويل[١]، وعماوة التعطيــل[٢]، وحماقة التشبيه[٣] والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه، وفوقيته، واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له فإن التحريف[٤] تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل[٥] وعي مع كون أن الرب تعالى وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا على إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا

---

[١] التأويل: إن لفظ التأويل لها ثلاثة اصطلاحات:
الأول: هو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه والأصول أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية، فالتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، وهذا هو التأويل الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات.
وحقيقة قول النفاة في المخاطب لنا: أن الله لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه. وهذا هو المراد هنا.
الثاني: أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن.
الثالث: أن التأويل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو هو عين ما هو موجود في الخارج، فتأويل الخبر هو عن المخبر به، وتأويل الأمر نفس الفعل المأمور به.
راجع (التدمرية) ص١١٠-١١٦، و(مباحث في علوم القرآن) ص٣٣٤-٣٣٩.

[٢] التعطيل: مأخوذ من العطل الذي هو الخلود والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: {وبئر معطلة} أي أهملها أهلها، وتركوا وردها، والمراد هنا: نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى.
(شرح العقيدة الواسطية):محمد خليل هراس ص٢١.

[٣] التشبيه في اللغة: الدلالة على مشاركة أمرٍ بآخر في معنى، فالأمر الأول هو المشبَّه، والثاني هو المشبَّه به.
وفي اصطلاح علماء البيان: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس. والمقصــود هنا تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين.
راجع (التعريفات) ص٨١.

[٤] التحريف: لغة التغيير وإمالة الشيء عن وجهه يقال انحرف عن كذا أي مال وعدل.
واصطلاحاً هو التغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو معانيها وهو نوعان:
الأول: تحريف اللفظ: وهو العدول عن جهته إلى غيرها إما بزيادة أو نقصان وإما بتغيير حركة إعرابية أو غير إعرابية فهذه أربعة أنواع. مثال ذلك نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: {وكلم الله موسى تكليماً} وكقولهم في استوى استولى وجاء ربك أي أمره، ويروى أن جهمياً طلب من أبي عمرو بن العلاء أحد القراء أن يقرأ {وكلم الله موسى تكليماً}بنصب لفظ الجلالة فقال له: هبني فعلت فما تصنع بقوله {وكلمه ربه} فبهت الجهمي.
الثاني: التحريف المعنوي وهو العدول عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما. كقوله في قوله سبحانه وتعالى: {وكلم الله موسى تكليماً} أي جرح قلبه بالحكمة والمعارف تجريحاً.
راجع (الصواعق المحرقة) ٢١٥/١-٢١٩، و(التنبيهات الواسطية على العقيدة الواسطية) ص٢٢-٢٣، و(شرح العقيدة الواسطية) ص٢١.

[٥] أي التوقف في صفات الله ولا يقول إنها مخلوقة ولا غير مخلوقة.
قال الآجري: الذين قالوا القرآن كلام الله ووقفوا، وقالوا: لا نقول غير مخلوق، فهؤلاء عند العلماء مثل من قال: القرآن مخلوق، وأشرُّ، لأنهم شكوا في دينهم، نعوذ بالله ممن يشك في كلام الله عز وجل أنه غير مخلوق.
(الشريعة) ص٨٨.
وقال الدارمي في (الرد على الجهمية) ص١٦٧: باب الاحتجاج على الواقفة ثم قال: ثم إن ناساً ممن كتبوا العلم – بزعمهم- وادعوا معرفته، وقفوا في القرآن فقالوا: لا نقول: مخلوق هو، ولا غير مخلوق.

نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالةٌ فمن وفَّقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى.

فصــل

والذي شرح الله صدري في حالِ هؤلاء الشّيوخِ الذين أوَّلوا الاستواء بالاستيلاءِ، والنُّزولِ بنُزُولِ الأمر، واليدينِ بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا صِفاتِ الرَّبِ تعالى إلا ما يليقُ بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواءً يليقُ به ولا نُزُولاً يليقُ به، ولا يدَيْنِ تَليقُ بعظمته بلا تكييفٍ ولا تشبيهٍ، فلذلك حرَّفُوا الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ وعَطَّلوا ما وصَفَ الله تعالى نفسَهُ به ونذكُر بيانَ ذلك إن شاء الله تعالى.

لا ريب إنا نحن وإيَّاهُم مُتَّفِقون على إثبات صِفاتِ الحيـاةِ، والسَّمْع، والبَصَر، والعِلْم، والقُدْرَة، والإرادة، والكلامِ لله، ونحن قَطْعاً لا نَعْقل من الحياة إلا هذا العَرضْ[1] الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لا نعقل مِنَ السمعِ والبصرِ إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا فكما إنهم يقولون حياته ليست بعَرَضٍ وعِلْمهُ كذلك وبَصَرُهُ كذلك هي صِفاتٌ كما تَليقُ به لا كما تَليقُ بنا فكذلك نقولُ نحن حياتهُ معلومةٌ وليست مكيَّفـه وعلمهُ معلومٌ وليس مكيَّفاً وكذلك سمعه وبصرُهُ معلومان ليس جميع ذلك أعراضاً بل هو كما يليقُ به.

ومثلُ ذلك بِعيْنِهِ فوقيته واستواؤه ونُزُله.ففوقيته مَعْلومةٌ أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع، وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يكيفان، كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير

---

[1] العرض: الموجود الذي يحتاج وجوده إلى موضع، أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به. راجع (التعريفات) ص١٩٢-١٩٣

مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلومٌ غير مُكيّف بحركة، أو انتقالٍ يليقُ بالمخلوقِ، بل كما يليقُ بعظمتهِ وجلالةِ صفاتِهِ معْلُومة مِنْ حيثُ الجُملةِ والثبوت غيرُ معقولة من حيثُ التَّكييفِ والتحديد، فيكون المؤمنُ بها مُبْصِراً من وَجه، أعمى من وجه، مبصراً من حيثُ الإثباتِ والوجودِ، أعمى من حيث التَّكييف والتَّحديد، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصَفَ الله تعالى نفسه به، وبين نفي التَّحريف والتَّشْبيه والوقوفِ، وذلك هو مُرادُ الرَّبِّ تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه به ونُؤمن بحقائقها، وننفي عنه التشبيه، ولا نعطلها بالتحريفِ، والتأويلِ ولا فرق بين الاستواء، والسمع، ولا بين النزول، والبصر، الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا: في الاستواء شبهتم، نَقُول لهم: في السمع شبَّهتم ووصفتُم ربَّكُم بالعَرَضِ، فإن قالوا: لا عَرَضَ بل كما يليقُ به، قُلنا: في الاستواء والفوْقية لا حَصْر بل كما يليقُ به فجميع ما يلزمُونا به في الاستواء، والنِّزُول، واليد، والوجهِ، والقَدَم، والضَّحكِ، والتَّعجبِ من التَّشبيه نُلزِمُهم به في الحياةِ، والسمعِ، فكما لا يجْعَلونها هم أعراضاً كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا ما يُوَصَفُ به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا الاستواء، والنزول، والوجه، واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا إلى التَّأويل والتَّحْريف.

فإن فَهِموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات الشَّبْعِ[1] صفات المخلوقين من الأعراضِ، فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية، وما ينزهوا ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها إلى التشبيه سواء بسواء، ومن أنصف عرف ما قلنا اعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك،ونفى عن جميعها التشبيه، والتعطيل، والتأويل، والوقوف، وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت في

[1] الصفات السبعة هي: الحياة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والقدرة، وهذه الصفات السبعة أثبتها متأخروا الأشاعرة واقلوا: إن العقل دلَّ على ذلك. وبعضهم قد يثبت إلى عشرين صفة.

موضع واحد، وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها كُنَّا كمنْ آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى.

فصــــل

وإذا ظهر هذا وبان، انجلتْ الثلاث مسائل بأسرها، وهي مسألة الصفات من النزول، واليد، والوجه، وأمثالها، ومسألة العلو، والاستواء، ومسألة الحرف والصوت، أما مسألة العُلو فقد قيل فيها ما فتحه الله تعالى، وأما مسألة الصفات فتساق مساق مسألة العلو، ولا نفهم منها من صفات المخلوقين، بل يوسف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فَتُنْزَلُ كما يليق بجلاله وعظمته، ويداه كما تليق بجلاله وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته، فكيف ننكِر الوجه الكريم ونحرف وقد قال صلى الله عليه وسلم في دعائه: ((أسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ))[٢].

وإذا ثَبَتَ صفة الوَجْهِ بهذا الحديث وبغيره من الآيات[٣] والنصوص، فكذلك صفة اليدين[٤]، والضحك[٥]،

---

[٢] رواه النسائي ح(١٣٠٥)، ح(١٣٠٦)، وأحمد ٢٦٤/٤، والحاكم ح(١٩٢٣) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن خزيمة في (التوحيد) ح(١٣) .

[٣] الآيات التي استشهد بها العلماء في مصنفاتهم على إثبات صفة الوجه لله تعالى، قوله تعالى: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}. وقوله: {كل شيء هالك إلا وجهه}. وقوله: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}. وقوله: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}. وقوله: {ذلك خير للذين يريدون وجه الله}. وقوله: {وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله}. وقوله: {إنما نطعمكم لوجه الله}. وقوله: {وما لأحد عنده من نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}.

[٤] ومن الأدلة على إثبات صفة اليد لله تعالى، قوله عز وجل لإبليس: {ما منعك تسجد لما خلقت بيدي}. وفي الحديث: ((احتج آدم وموسى – عليهما السلام- فقال موسى: يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقاله له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فحج آدم موسى ثلاثاً)) رواه البخاري ٢١٤/٧.

[٥] من الأدلة على إثبات صفة الضحك لله تعالى، عن أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد)) رواه البخاري٢١٠/٣، ومسلم ح(١٨٩٠).

والتعجب[١]، ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله- عز وجل- وبعظمته، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك في اليدين، والقبضتين، والقدم، والضحك، والتعجب، كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك إثبات ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحصل أيضاً نفي التشبيه، والتكييف في صفاته، ويحصل أيضاً ترك التأويل، والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضاً ترك التأويل، والتحريف المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضاً بذلك عدم الوقوف بإثبات الصفات، وحقائقها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين.

وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق: فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد، وبجميع حروفه، فقال تعالى: {آلم} وقال: {آلمص} وقال: {ق والقرآن المجيد}. وكذلك جاء في الحديث: ((فيُنادي يوم القيامة بصوتٍ يسمعُهُ من بَعُدَ كما يسْمَعُه من قَرُبَ))[٢]. وفي الحديث: ((لا أقولُ آلم حرْفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، لامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ))[٣]. فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فإن ذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات. وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو أن الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فإنه قادر والقادر لا يتحاج إلى جوارح، ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به، يسمع،

---

[١] من الأدلة على إثبات صفة العجب لله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((عَجِبَ الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)) رواه البخاري ٢٠/٤.

[٢] رواه البخاري ١٩٤/٨ دون لفظ (يوم القيامة).

[٣] رواه الترمذي ح(٢٩١٠) بلفظ: (ولام حرف، وميم حرف) وقال:هذا حديث حسن صحيح غريب، وبنحوه والحاكم ح(٢٠٤٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر، وقال الذهبي في التلخيص: صالح ثقة خرج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف. والدارمي في سننه: ٤٢٩/٢.

ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما يليق به، وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحروف ولا الصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف، والتكلف بقوله هذا عبارة عن ذلك[٤].

فإن قيل فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه هو، قلنا: لا، بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق، وفي القرآن لا يتميز اللفظ عن الكلام المؤدي عنه، ولهذا منع السلف عن قول لفظي بالقرآن[١] مخلوق لأنه لا يتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق، فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن، وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه، والله الموفق.

---

[٤] ينتفي شبهة القائلين إن إثبات الكلام يؤدي إلى الجوارح واللهوات، إذا قلنا إن لله كلاماً يليق بذاته؛ لأن المخلوقات يُنطقها الله دون أن تحتاج إلى اللهوات، ولا إلى الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف، قال تعالى: {اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم}. وقوله تعالى: {وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء}. ومن ذلك أيضاً تسبيح جميع ما في الكون حتى الجمادات: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}. وثبت في الأثر تسبيح الطعام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنين الجذع مشهور. أقول: إذا كانت هذه المخلوقات لا تحتاج إلى ما ذكروه من شبهة فكيف يحتاج إليها الخالق- عز وجل- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

[١] راجع (السنة) لعبدالله بن أحمد: ١/١٦٣-١٦٦. و(شرح أصول اعتقاد أهل السنة) ١/٣٨٥-٣٩٩.

فصـــل

العبد إذا أيقن أن الله تعالى فوق السماء عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، صار لقلبه قبلة في صلاته، وتوجهه، ودعائه، ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده، لكن لو عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه إلى جهة العرش، منزهاً ربه تعالى عن الحصر، مفرداً له كما أفرده في قدمه وأزليته، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا في قدمه، وأزليته إلا بها، لأنا مُحدَثُون والمحدث لا بد له من في إشارته إلى جهة فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته، لا كما يتوهمه هو من نفسه، ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، هو معهم بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته فوق الأشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة، أو التوجه أشرق قلبه واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان، وغشيت أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول، وذاق حينئذٍ شيئاً من أذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده، وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: ((في السمـــاء))، عرفته بأنه على السمــاء؛ فإن في تأتي بمعنى على كقوله تعالى: {يتيهون في الأرض} أي على الأرض. وقوله: {لأصلبنكم في جذوع النخل} أي على جذوع النخل[٢]، فمن تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان، ومن أنكر هذا القول فليؤمن به، وليجرب، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه، أعمى من وجه، كما سبق مبصراً من جهة الإثبات والوجود والتحقيق، أعمى من

---

[٢] حرف الجر (في) له معنيان: إذا فسرت السماء بالطباق المبنية فهي بمعنى على، وإذا فسرت السماء بمعنى العلو فهي للظرفية.

جهة التحديد، والحصر، والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد نوره، وبركته عاجلاً وآجلاً {ولا ينبؤك مثل خبير}.

فصــل

في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه:

لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة، وحكمها صحيح لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه بأن الأرض في جوف العالم العلوي، وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن أسفل العالم هو جوف كرة الأرض وهو المركز، ونحن نقول جوف الأرض السابعة وهم لا يذكرون السابعة، لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك، وهم لا يعرفون ذلك[١]، وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها أن المركز هو جوف كرة الأرض، وهي منتهى السفل، والتحت، وما دونه لا يسمى تحتاً، بل لا يكون تحتاً، ويكون فوقاً بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق إلى السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق.

وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وامتدَّ مسافر المشي على كرة الأرض إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه، وهو في سفره هذا لم تبرح ا"الأرض تحته والسماء فوقه، فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها؛ لأن السماء فوق الأرض بالذات فكيف كانت السماء كانت فوق الأرض من أي جهة فرضتها، ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الأرض النصف الأعلى منها ثقله على المركز، والنصف الأسفل ثقله على النصف الأعلى أيضاً على جهة المركز، والنصف الأسفل هو أيضاً فوق النصف الأعلى، كما أن النصف الأعلى فوق النصف الأسفل، ولفظ الأسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل الناظر، وكذلك كرة الماء

---

[١] ويقصد المؤلف وهم لا يعرفون أي أهل علم الهيئة.

محيطة بكرة الأرض إلا سُدْسُها[٢]، والعمران على ذلك السدس، والماء فوق الأرض كسف كان، وإن كنا نرى الأرض مدحية على الماء فإن الماء فوقها، وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهي فوقها، وإذا كان الأمر كذلك فالسماء التي تحت النصف الأسفل من كرة الأرض هي فوقه لا تحته؛ لأن السماء على الأرض كيف كانت، فعلوها على الأرض بالذات فقط لا تكون تحت الأرض بوجه من الوجوه، وإذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الأرض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء، وعلوه على كل شيء بالذات، كما قال تعالى: {سبح اسم ربك الأعلى}. وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية: {يخافون ربهم من فوقهم}. {وإليه يصعد الكلم الطيب}. {وهو القاهر فوق عباده}. لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات، والعلو صفته اللائقة به، كما أن السفول، والرسوب، والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته، وعظمته، وعلوه، والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق، يتميز به عنه هو سبحانه عليٌّ بالذات، وهو كما كان قبل خلق الأكوان، وما سواه مستقل عنه بالذات، وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج الأمر إليه فيحيي هذا، ويميت هذا، ويمرض هذا، ويشفي هذا، ويعزُّ هذا، ويُذِلُّ هذا، وهو الحي القيوم القائم بنفسه، وكل شيء قائم به، فرحم الله عبداً وصلت إليه هذه الرسالة، ولم يعاجلها بالإنكار، وافتقر إلى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار، وتأمل النصوص في الصفات، وفكر بعقله في نزولها، وفي المعنى الذي نزلت له، وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات، ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد إلا معرفة الرب تعالى بها، والتوجه إليه منها، وإثباتها له بحقائقها وأعيانها، كما يليق بجلاله وعظمته، بلا تأويل ولا تعطيل،ولا تكييف ولا تمثيل، ولا جمود ولا وقوف، وفي ذلك بلاغ لمن تدبر، وكفاية لمن استبصر إن شاء الله تعالى، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم، والله سبحانه أعلم.

---

[٢] لعل هذا التصور لحجم اليابسة قبل اكتشاف القارات الجديدة، ومن المعروف الآن أن نسبة اليابسة تشكل نحو ثلث مساحة سطح الكرة الأرضية ٢٩٪ بينما الماء يحيط بالقارات ويشغل نحو ثلثي مساحة سطح الكرة الأرضية ٧١٪.